

الظل في الشعر الموصل الحديث

(نماذج مختارة)

د. إخلص محمود عبدالله

استاذ مساعد في الأدب العربي الحديث

كلية الآداب / جامعة الموصل

ekhlas_m79@yahoo.com

اريخ الاستلام ٢٠٢١/١١/٢٩

تاريخ القبول ٢٠٢١/١٢/٢٩

الملخص

يتضمن بحثنا الموسوم بـ (الظل في الشعر الموصل الحديث_ نماذج مختارة) دراسة الظل بمعناه الرمزي بما يدل عليه في الشعر الموصل، إذ وجدنا الظل يتكون بشكل عام من معنيين هما :

- الظل الخارجي وهو يرتبط بالظاهر المرئي المرتبط بالبصر .
- الظل الداخلي وهو الظل الخفي يلاحظ بالبصيرة .

وفي كلاهما يمارس الظل فعله سواء بالناحية الايجابية أو السلبية، ويعلم تمده بداخل الذوات باسما نفوذه وسلطته. وقد اعتمدنا على نماذج مختارة من الشعر الموصل نظرا لكثرة القصائد وتعدد الشعراء فاخترنا ما هو ظاهر فيها بشكل مباشر، وما يعكس انواعه المختلفة في ثنايا هذه النماذج.

الكلمات المفتاحية:

سيطرة الظل، الزمن، انعكاس الظل، انفصال الظل .

Abstract

Our research, tagged with (Shadow in Modern Mosuli Poetry_Selected Models), includes the study of the shadow in its symbolic meaning with what it indicates in the Mosuli poetry, as we found the shadow in general consists of two meanings: -The outer shadow, which is related to the visible phenomenon associated with sight. -The inner shadow, which is the hidden shadow, is noticed by insight. In both of them, the shadow exercises its action, whether in a positive or negative way, and announces its expansion within the subjects, extending its influence and authority. We have relied on selected models of Mosuli poetry due to the large number of poems and the multiplicity of poets, so we chose what is directly apparent in them, and what reflects its different types within these models.

التمهيد دلالة الظل وابعاده

إن الحياة عبارة عن مسرح من الظلال فتنوع هذه الظلال وتختلف، وعندما يتعب الانسان من الحياة وتقلها يلجأ الى الظل طلبا للراحة أو للهروب من واقعه، واذا ما خبا توهج الحياة بداخل الانسان يصبح ظلا بلا روح، وبهذا فالظل كلمة تحمل معان عدة، فيشكل الظل رمزيا عالم الذات الآخر الذي يحتوي السلبي والايجابي_ كما الحياة بما تحمله هذه الثنائية_ والجزء الخفي من نفسه الذي يتوقع فيه واحيانا يظهره للعلن ويعرف به، فكأنما الظل هو الشق الآخر للذات والذال عليها، وكذلك هو في الشعر الدال على الشيء الخفي .

نستشف معنى الظل لنجده في ظل الجنة، وفي الحقيقة هو ضوء شعاع الشمس^(١)، والظل "العز والمنعة ويقال: فلان في ظل فلان أي في ذراه وكفه".^(٢) وهو جمع ظلال وأظلال من أظل الشيء ستره، والظل استتار ضوء الشمس بحاجز^(٣). فإن معنى الظل الستر ومنه ظل الجنة سترها وظل الليل سواده لأنه يستتر كل شيء.^(٤) ومن هنا نستنتج بأن الظل يتحدد بالمعنى الظاهر من الظل الطبيعي، وبالمعنى الرمزي الستر والسواد .

وتعريفه في العلم "هو الضوء الثاني وهو الحاصل من مقابلة المضيء بغيره وقيل هو الضوء الثاني الحاصل من مقابلة الهواء المضيء ... وطرفاه النور والظلمة".^(٥)

اذا ما تتبعنا مفهوم الظل قديما نجد "إن تفاعل الثقافات مع الظل لم يسلم من فخ الخرافة فالخطو على ظل الزعيم أو الكاهن الممتد على الارض كان يعد خطيئة عند كثير من القبائل البدائية باعتبار الظل امتدادا روحيا وغيبيا لحجم صاحبه".^(٦) ففي كثير من الحضارات يكون الظل قرينا للغموض والسر والموت، ويكرس معنى الظل كمقابل للخطر وعند اليونان كانت ارض الظلال مملكة هيديز، إذ تقاسي الارواح الشريرة صنوف العذاب، وعند الفراعنة فإن أرواح الموتى تتجه ناحية الغرب، إذ تختفي الشمس ويحل الظلام الذي يعد اشارة لوجود عالم آخر مواز لعالمنا إنما هو مخيف وبلا ضياء^(٧)، فإن مفهوم الظل عميق ومتداخل مع فكرة الوجود المطلق والعدم والموت والخلود.^(٨)

أما مفهوم الظل في العلوم والفنون، فالظل في الفيزياء هو في نظرية الظلال التي هي فرع من فروع الهندسة الوصفية، وهذا الظل كاشف لمحتوى الآخر كأن يكون مفسرا لتكوين الجسد، ومن سمته انه يتحرك دون

¹ (١) ينظر لسان العرب، ابن منظور : ٤١٥ / ١١ _ ٤١٦

² (٢) المصدر نفسه : ٤١٩ / ١١

³ (٣) ينظر: معجم المعاني الجامع. www.almaany.com

⁴ (٤) ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة : ٢٨

⁵ (٥) الشاعر وظله، أحمد العمراوي. mahmouddarwish.ps

⁶ (٦) الظل، مجلة القافلة WWW.saudiaamco.com

⁷ (٧) ينظر: الظل في الأدب والفن والعلم . Ara.alrakoba.net

⁸ (٨) ينظر: فلسفة الظل، احلام الفهمي www.al_jazirah.com

تفاصيل، وهو مجرد كتلة تسير حيثما يكون الضوء أو النور^(٩). وفي الفنون التشكيلية تقوم اللوحة على عناصر الظل والضوء واللون، وفي المسرح ما يسمى فن الظل أو خيال الظل، والدور الذي لعبه الظل كان في فن الرسم عندما اسس (كارافاجيو) مذهباً فنياً عرف باسم المضاء والمظلم ويقضي برسم مشهد مضاء واغراق الباقي في الظلام^(١٠). والظل في علم النفس هو البطل التعويضي الذي يناور ويشاغب، إذ يمارس حضوراً فائقاً حد تلبسه بالتأبؤ الذي يسكن لا وعينا الجمعي بوصفه ظلاً للواعظ والفيلسوف وصانع الحكايات^(١١)، وبهذا يأخذ بعداً أعمق في دلالاته ويسمى الظل بـ(الظل الذاتي) حسب وصف (كارل يونغ)، وهو المكان الذي يعيش فيه الجانب غير المهذب من شخصيتك، وهذا الجزء يتم قمعه أو رفضه، لأنه يجعلك خائفاً^(١٢)، وتُعرف النفس الخفية أو الظل في علم النفس بأنه الجزء المظلم من نفس الإنسان الذي لا يرغب بالاعتراف به، فالنفس الخفية هي جزء فطري من النفس البشرية التي يعتقد البعض أنها الجزء اللاوعي السلبي من الإنسان في حين أنها الجزء الضعيف الذي لا يرغب بإظهاره للآخرين".^(١٣)

كما يتصل مفهوم الظل بالمرجعيات الدينية والاجتماعية، وفي السياسة يظهر ما يسمى (رجل الظل) في الدولة وهو يتحرك في حيز معتم في السياسة يعني بعيداً عن ضوء الإعلام لكنه أساسي في صنع القرار.^(١٤) فيكون الظل المساحة المظلمة التي تحاك فيها المؤامرات.

والظل في القرآن يأتي كنوع للناس أو كعقاب وعذاب للأقوام التي خالفت سنن الله، وفي هذا يرى علي الكيالي أن الظل هو عبارة عن طاقة ترافق الانسان وليس له علاقة بالشمس، فهي تشير إليه وتكشفه لا تصنعه^(١٥)، وللظل حركات منها حركة الانتقال من جهة إلى أخرى كما في قوله تعالى: (تتفيوا ظلاله) وحركة بالامتداد والانتقاض في قوله تعالى: (لجعله ساكناً).

كما يحضر الظل في الامثال والاقوال فعبارة (رجل بلا ظل) تنطوي على نوع من الهجاء تعني رجل بلا شخصية^(١٦) وفي المعنى ذاته يقال: (لا تكن مجرد ظل للآخرين ولا تتبع ظلال الآخر)، أي تفقد شخصيتك^(١٧)، ويقال ظله خفيف أو ثقيل أي مبهج أو مزعج، وفي الاقوال (بخاف من ظله) يضرب من شدة الخوف الذي تمكن من الشخص.

يأتي الظل في الكتابة بمعنى الأثر عندما نقول في ظل الظروف أي اثرها، وهو يعبر عن الشخصية الافتراضية وترسخت بطول الظل كمقابل نظري للغموض، وفي الشعر يأتي كناية ومجازاً وفكرة، فهو يمثل مفاهيم الأنا والوجود والموت والزمن وغيرها، والشاعر هو ظله^(١٨)، من خلال الكتابات التي يتركها وتشكل ظلاً له. ويوضع الظل من جهة مقابل الضوء ومن جهة أخرى صورة للأشياء العابرة غير الواقعية والمتغيرة وهو

⁹ ينظر: الظل في الأدب والفن والعلم . Ara.alrakoba.net

¹⁰ ينظر: المصدر نفسه

¹¹ ينظر: الشاعر العربي استعارة الظل واوهام البطولة، علي حسن الفوزان ١٥/يوليو/٢٠٢٠ .

www.alquds.co.uk

¹² ينظر: شفاء الانقسام بين الذات الواعية والنفس الظل، دنيس لين . ar.innerself .com

¹³ ماهي القوة الخفية للجزء المظلم من أنفسنا . www.Amproject.ozg ، www.fozra.com .

¹⁴ ينظر: تاريخ الظل، يوسف ابو لوز ٢٢/١/٢٠١٨ Alkhaleej.ae

¹⁵ ينظر: فلسفة غياب الظل في الفنون الشرقية ، د. كاظم شمهود . www.almothaqaf.com

¹⁶ ينظر: تاريخ الظل ،يوسف ابو لوز . Alkhaleej.ae

¹⁷ ينظر: الظل في الأدب والفن والعلم . Ara.alrakoba.net

¹⁸ ينظر: الظل، مجلة القافلة، WWW.saudiaamco.com

يجسد التعارض الثنائي بين الضوء والظلام والذي يدل على كل التعارضات الموجودة في كل الأشياء.^(١٩) فلظل حضور في الفلسفة والدين والأدب وارتبط بالغموض والسر والأثر والفكرة التي تلح على الذات والقرين والرقيب والمرأة وغيرها، يقول الفيلسوف الالمانى غوته: "حيث يوجد الكثير من الضوء يكون الظل عميقا" تعبيرا عن الأمور الخفية التي لا تدرك على الرغم من تسليط الاضواء عليها.^(٢٠) ف "الظل فلسفة كونية وجزء من تكوين ساعتنا البيولوجية لتتحد مع الكون والمخلوقات، الظل يحمل كل ذلك الغموض شيء هش لا وجود له ولا شكل له يعكسنا نراه ولا يرانا."^(٢١) فهو هلامي غير قادر على الامساك به لهذا ف "إن للظل دورا مهما في الخيال الانساني، إضافة إلى أن الأشكال التي يأخذها مثيرة للاهتمام بحد ذاتها ورغم انه يتشبه بالأصل إلا انه في شكله شيء آخر له جماله الخاص وحضوره المميز."^(٢٢) فإن الارتباط وثيق بين الشيء وظله أو الذات وظلها، فحركة الظل وكيفيته مرهونة بتغير حركة الذات أو الشيء وتبعاً لذلك فالظل يكون تابعا لكائن حي أو لجساد. وعندما يرتبط بالحركة الخارجية المتمثلة بحركة الجسد وبحركة داخلية وهي مجموعة الاحاسيس والافكار، وترتسم علاقة الظل بالذات من أفعال الذات وحركتها داخليا وخارجيا، ومن ظلال الاشياء التي تتعكس على الذات وتؤثر فيها وفي علاقته بالغيبيات^(٢٣). فيكون الظل ثابتا ومتحركا انطلاقا من ثبات الاشياء وتحركها فينا قبل الكون.

ومن خلال ذلك يمكن أن نقسم الظل على أنواع منها :

- الظل الخارجي وهو ظل لشخص أو لشيء ما، أو هو يرتبط بالظاهر المرئي المشاهد بالبصر.
- الظل الداخلي وهو الذي يتكون في داخل الذات من فكرة ما أو احساس وشعور، هو الظل الخفي يلاحظ بالبصيرة .

ويبقى الظل عالما مجهولا وفكرة تلوح في الأفق معلنة عن نفاذها إلى الداخل واختراقها عالما، وإن كانت تتشكل في الخارج أي البؤرة التي تحتضنها خارجية لكنها تعكس بظلالها على عالم الذات الداخلي محولة إياه إلى كينونة داخلية، ومن شيء مرئي خارجي إلى شيء غير مرئي داخلي يتكون في الذات والوجود .

- الظل في الشعر الموصل

يظهر الظل في الشعر الموصل برموز عدة منها ما يتصل بالوطني والديني والاجتماعي، ويمثل مفاهيم الأنا والوجود والآخر وغيرها، ومنها ما يدل على الشعور بالأمان والحب والزمن، وأحيانا يكون الشاعر مقهورا امام سلطة ظله وتمرده عليه، فهو صورة الذات والزمن، فلظل دلالة رمزية ومضامين إنسانية وشعورية وفكرية لا تنتهي، واغلب ما يظهر به الظل في الشعر الموصل بدلالة (الفكرة، الزمن والسنين، الزمن الماضي، صورة الذات عن طريق الانعكاس في المرأة)، فيظهر الظل بصور عدة تتشكل في الشعر الموصل.

- ١- الظل وعلاقته بالزمان والمكان

¹⁹ () الشاعر وظله، أحمد العمر اوي .ps.mahmouddarwish

²⁰ () ينظر: فلسفة الظل، احلام فهمي ٢٠١٥\١٢\١٩ al-jazirah

²¹ () المصدر نفسه

²² () الظل، القافلة، ٢٠١٨ www.saudiaamco.com .

²³ () ينظر: فاعلية الذاكرة، د. أيمن العبيدي : ٣٤

إن للظل علاقة وطيدة بالزمان والمكان، ويكون ذلك عن طريق استدعاء الزمان والمكان، وما حدث فيهما فيكونان بمثابة الظل الذي يرافق الذات، وبهذا يشكل حياة كاملة تحمل في حفريات الذاكرة، وتشكل موطنها لها تلقي بظلالها على الحاضر.

نجد في قصيدة (ستون ظلا) للشاعر أمجد محمد سعيد استخدام الظل فضلا عن حضور الغين باللهجة الموصلية التي تدل على تفاصيل الحياة في مدينة الموصل، فهي بمثابة هوية انتساب للشاعر، ومن يتحدث عنه (شاذل طاقة) الشاعر الموصلية، وبذلك شكل الظل عالما مليئا بالحياة التي مضت ويؤسس لحقبة زمنية وهوية ذاتية. ففي جزء من قصيدة (ستون ظلا) يقول الشاعر:

" يأتي صباح جديد ..بلا (شاذل)

ويستين ظلا

وستون ظلا

مسافة ما بين لحن ولحن

وما بين أغنية ونهار

وبينهما .. دمعة ..

ودعاء الأحد

وقصائد لما تنزل

(غير صالحة) للتداول والنشر

يقترّب الظل من أصله

حاملا لوحة من جلود الغزال

وقيثارة من حرير الجسد

(شمس مطغ علغبيع)

غزلة تغزل وتبيع)

هذه (الغين)

نافذة رجة " (٢٤)

ستون ظلا تحمل بداخلها سيرورة الزمن وتدفعه خلال حياة الذات، فتشكل الزمن الذي مر ويمر بسنينه، لذلك شملت القصيدة الأماكن والأزمنة، فضلا عن حضور التراث بصيغة اللهجة الموصلية التي تخضرت على لسان الناس وسكان الموصل لتميزها لكنيتها (بحرف الغين) الذي يعطي اسما عدة لمسميات كثيرة، وبهذا يكون الظل تخيلات الذات لما مضى عبر فاعلية التذكر والتسجيل للأحداث مطرقة باب الحاضر في جوها العام، وفي نقطة اقتراب الظل من الأصل ينكشف الانتماء الحقيقي للمكان وهويته وتعد نافذة نحو عالم رحب، ومن هنا

²⁴() مرايا العزلة، أمجد محمد سعيد : ٧٢ – ٧٤

نتبين العلاقة المترابطة بين الظل والزمان والمكان، فالظلال السنوات التي القت بظلالها على احساس الذات وتركت فيها بقايا باقية لاستعادة ذكرى او تحصيل حاضر معيش في المكان. وهذا ما يؤكد باشلار بقوله: "إن الماضي يترك أثراً في المادة إنه _ إذن_ يضيف ظلاً على الحاضر، فهو حي من الناحية المادية".^(٢٥)

في جزء من قصيدة (مركب الشمس إلى: محمد عفيفي مطر) يتأسس الظل بحضور الذاكرة الزمانية في المكان، فكل ما حدث من احداث وتفاصيل تستحضرها الذات بعيق هذا المكان، ليشكل الظل حياة وروحا تتبع الذات وتصبح كظلالها الذي لا ينفصل عنها، يقول الشاعر (أمجد محمد سعيد) :

"من فوضى كوبري الملك الصالح
حتى دمة صباد بغدادي
اسفل جسر الجمهورية
ظلك يتبعني
فأحاور ظلك
نبعاً أزرق من إيمان المرمر
والدمع
وهجاً يشرق من شرف الشمس
يا شيخاً تجمع من طرقات العنبر احلامك
تشعل في ليل عذابك فانوساً عربياً"^(٢٦)

إن ما بين هنا وهناك تكمن العلاقة الروحية والاتصال فتخلق هذه الفكرة وتحوم بظل يتبع الشاعر، فيعطي اقتتان الظل بالآخر وليس بالذات، وعند ذاك يكون الظل عبارة عن فكرة ملحة أو روح تحوم حول الذات وتتبعها ولا غرابة إن عرفنا بأن هذا الظل لشاعر ايضاً هو (محمد عفيفي مطر)، لأن الظل هو الروح ويمكن للروح أن ترجع إلى ظلها حين يفنى الجسد^(٢٧). فالظل يرمز إلى ذكريات الشاعر معه، فلقد تعرض محمد عفيفي مطر إلى الاعتقال بسبب موقفه الصريح من قضية العراق في حربه ومن قضايا الوطن العربي، وهذا هو الرابط بين الاشارات التي وردت في القصيدة التي تدعم الصلة بين الأثنين ومنها:(كوبري الملك الصالح، جسر الجمهورية، صباد بغدادي، فانوساً عربياً)، فعندما ضرب جسر الجمهورية في الحرب استدعت ذاكرة الشاعر كوبري الملك الصالح في مصر، وربط الشاعر بينهما للعلاقة الحميمة التي كانت تربطه بذلك المكان وتذكر موقف عفيفي من كل ما يحدث، ولهذا يستحق أن يخلد بشعر وبروح تتبع الشاعر ويحملها في داخله .

إن عملية التتبع من قبل الظل قد تشعر بجو الرقيب لكنه رقيب من نوع آخر، هو محبب إلى الذات وجاء هذا الاحساس نتيجة علاقة الصداقة التي تربطهما معاً، كما تدعم المحاوره بين الذات والظل الجو التواصلية بينهما وتبشر بنتائج ايجابية، فهو عبارة عن نافذة وممر للتواصل الروحي ينفذ إلى قلب الذات ويدعمها بالماضي واستنكاره في أزمة الحاضر .

٢- انفصال الظل عن الذات أو العكس/ الظل حياة القطيعة والعزلة

²⁵ () حدس اللحظة، جاستون باشلار: ٨٥

²⁶ () مرايا العزلة : ١٠

²⁷ () ينظر: الشاعر وظله، احمد العمراوي mahmouddarwish.ps

إن الظل في شعر (وليد الصراف) هو ا شبه بظل صلاح عبد الصبور الذي وصفه ب (لص) كذلك . يقول وليد الصراف في قصيدته (الظل):

ليس ظلي هذا الذي سار خلفي	ان ظلي لص يجيد التخفي
يسرق العمر تاركاً لي ذكرى	واذا ما سألته عنه ينفي
ان تشفى بما جرى لي خصوم	اتقى بالغياب سهم التشفي
جامح كلما وقفت قنوطاً	سار في الارض وحده رغم أنفي
ليس يدري ماذا يريد وأدري	أنه مورد ليولد حتفي
علقته الايام حيث عيوني	لا تراه وحيث تعجز كفي
أسأل الارض موطناً لخطاه	فاذا الارض والسما ليس تكفي ^(٢٨)

يبدأ الشاعر قصيدته بنفي انتساب(الظل) للذات فهو ليس حقيقياً، لأن ظله الحقيقي يجيد من الأمور الكثيرة التي لا تقدر عليها الذات وعندها ينفي صفته الاصلية من الملازمة للذات ويكتسب صفات أخرى منها: (الاختفاء، دلالة على الزمن ومضيه، يمتلك الجواب عبر المحاوره، الحركة، عدم الدراية لما يريد، لا يسعه شيء)، والأفعال التي يقوم بها (يجيد التخفي، يسرق العمر، ينفي، سار، ليس يدري)، فهو يمتلك صفة الحركة والتشخيص، ومن شدة جموحه وجرأته يسير بالذات إلى حتفها .

يشير (الظل) إلى الزمن والسنوات التي تمضي فيلعب الشاعر لعبة التجسيد بينه وبين الظل، فيأخذ الظل بعداً آخر، فهو صعب لما يمتلكه من قوة وصفات تجعل الذات لا طائل لها على مجابهته، فعدم الامتثال لأمر الذات والمخالفة بالسير لوحده وفي هذا ما ينافي الارتباط الحاصل بينهما من أن الظل يتبع صاحبه وعلى الرغم من ذلك، فالذات تترك غايته وعلى بصيرة بالأمر وبأمره، وإن كان الظل بعيداً عن مدى رؤية الذات، وغير محدود في خطاه على الارض، فإن هذه الصفات للظل تعطيه القوة والجبروت والسلطة التي تنفذ بالذات فتجعلها في قلق دائم.

يقول الشاعر (بهنام عطاالله) في جزء من قصيدة (رماد القصيد):

" ظلي يتيه خلفي
ينهال بدواخل ثقلي ... رؤى
تنزاحم بين ركام النفس،
تتلاشى... اعدو خلف ثقب يتقد منه النور
يغور كالمصباح امام قراري
فتغور روعي برماد القصيد " (٢٩)

ان (ظل) الشاعر (بهنام عطا الله) يأتي بعكس ظل الشاعر (وليد الصراف)، فهو خلفه لكنه في تيهه ليتشكل في داخل الداخل رؤى كثيرة تستقر في النفس، وإن هذا التيه الذي مُني به (الظل) إنما هو صراع الذات

²⁸ (عينان، قصيدة الظل، وليد الصراف، www.atheer.com .

²⁹ (فصول المكائد، بهنام عطاالله : ١٩

الداخلي وما يزدحم داخلها من هواجس. وهو والصراف يعالجان انفلات وانفصال الظل عن الذات وعدم السيطرة عليه وتمحوره باتجاه آخر معلنا عدم انقياده للذات، أي كل مشاعر الذات وهواجسها قد تتركب موجة أخرى مخالفة لها وتسيطر على الذات بشكل أو بآخر، وإن هذا الانفصال يولد تنافرا بين الذات والظل الذي يحدث عكس الطبيعة والحقيقة المدركة، ليتحول الظل من حقيقة ملموسة إلى خيال يفوق التصور في قدراته بما يجسده من معان كثيرة .

يمثل الظل حياة القطيعة والعزلة وحياة اخرى تعيشها الذات، فيقول الشاعر زينل الصوفي في قصيدة (الهروب إلى ظلي) :

"غَيَّرْتُ وَجْهِي واصطنعتُ لساني
ولبستُ ضِدِّي كي يكونَ كياني ..
وكفرتُ بالحبِّ العظيمِ تَعَمِّدًا
لتراه رَجْسًا في مدى إيماني ..
ورحلتُ عَنِّي نَحْوَ وجهِ مُظَلِّمٍ
وتركتُ زَيْنَلْ ثانياً بمكاني ..
وسلكتُ تيهي ، لا أريدُ حقيقتي
علَّ الضياعَ يكونُ لي عنواني .." (٣٠)

إن الشاعر يهرب من الحياة إلى العزلة متخذاً منها الركن الذي يأويه بحالة انتكاسته في الحب والحياة، فيرحل عن ذاته متخذاً من الضياع وجهة له، ليعيش حالة حياة الظل، إذ لا هوية انتساب فيها ولا معرفة أو حقيقة أو انتماء فعلي، فقد يكون الظل شخصية اخرى تخالف الذات وما عليها من صفات تظهرها الذات عند شعورها بالألم والحزن أو مرارة الحب، ويعمد الشاعر هنا للهروب إلى شخصية ثانية لا يكون فيها محل للمحبة طالما أنه تعذب باسم الحب.

يمثل الظل تصارع الذات مع حقيقتها، فالذات الحقيقية تعاني التيه والضياع، والذات الظل شخصية ثانية مقنعة تصطنعها وتبتكرها وتتقنع بها وتكون في الضد منها وما تمتلكه من صفات شخصية، فتكون كقناع ترتديه الذات لتحل هذه الشخصية محلها، أو يمثل الظل حياة العزلة والوحدة والضياع والتهيه التي تعيشها الذات وتسيطر عليها من أمور سلبية، فالشاعر ينفي الذات ويعمل على اثبات غيرها وضدها تحل محلها لا تمتلك صفاتها وليست شبيهة بها.

يقول الشاعر مروان ياسين الدليمي في جزء من قصيدته:

" لن اخرج من جلدي منكسرا
حتى ادرك طعم الغياب
يستيقظ من ظلي المدمى
أعود
مرة أخرى

³⁰ () ابجدية الحب ، زينل الصوفي : ١٤

أحيا في مملكة التخفي

بلا شفاه

ولا نعاس " (٣١)

يعالج النص القطيعة وتأثيرها على الذات حتى غدا الشاعر انسانا آخر يخرج من ذاته، لأنه أدرك معنى الغياب ثم يمارس فاعلية العودة لحالة التخفي، فهو يغيب ويتخفى في عالمه ويُفعل الحركية الثنائية الضدية من فعل الخروج والعودة الى ما هو عليه، وإن هذه اللعبة التي يتبناها إنما تشير إلى حجم القطيعة التي منيت بها الذات لتصبح أخرى تخرج من ظلها، فالإنسان هنا اشبه بالظل الذي لا فائدة منه تُرجى ولا عجب فهو في حالة التخفي بلا شفاه تدرك معنى الكلام وتواصله مع الآخرين، فحالة الغياب والتخفي هي من الحالات المتبادلة لحياة العيش في الظل.

٣- الظل والحب

إن قصيدة (الظل) للشاعر(زينل الصوفي) يعالج فيها مسألة الحب والحبیب الذي بات في ظل، كون حبيبته لا تصرح باسمه (افصحي عنه من يكون؟)، وإن كان في الظل عن الناس والآخرين، فهو يمتلك في الروح المقام الأول . يقول الشاعر في جزء منها:

" هو بَعْدِي أتى حبيباً ؟

دعيه ..

وانثري الوردَ فوقه ،

قَبْلِيهِ ..

لا يُفِيدُ الإنكارُ

فالليلُ ولى

وَعَفَّتْ فيه ساعةُ التنبيةِ ..

افصحي عنه

مَنْ يكونُ ؟ أجيبني

هو؟؟؟

كُونِي شجاعةً ، سَمِّيهِ .." (٣٢)

إن ما يحاول معالجته زينل الصوفي المشاعر التي تخائل بعضها فترمم بعضها على اكناف بعض فيصحو شعور وبنام آخر، وبهذا فالحبيب قد يصبح من السابق في الظل ليحل حب آخر مكانه يصرح الشاعر بالمسألة منذ البدء بقوله (هو بعدي أتى حبيباً ؟)، فهو يدرك ذلك لكن تغافله أوصله إلى بناء حوار من طرفه فقط، وكأنه يحاور ذاته داخليا بدلا من أن يصرح لها بشيء خوفا من أن يחדش فيها لمحة نبض.

فالصورة التي يكدها الشاعر تعطي التفاني في الحب، إذ يبقى حبه خالصا، وإن لم تبادلها هي به ليحتفظ بما يكنه على الرغم من وصوله حد الذويان (وادفني يا ماضي كلك فيه)، فالظل هنا يحكي قصة ظل

31) رفات القطيعة، مروان ياسين الدليمي: ٣٥

32) كان شيئا من الماء، زينل الصوفي: ١٩

المشاعر التي يخفيها في داخله فتصبح ظلا حتما عن الحبيبة والآخرين، وإن سيطرت على تفكيره واخذت حيزا واسعا في داخله.

فالظل في شعر زينل يشكل هاجسا يلقي بظلاله في عمق الروح، فهو ظل يتبعه ويسكنه ذاك هو الحب الذي ولد به، كما يكون هاجس الآخر الذي استوطن قلب حبيبته ظلا يأخذ حيزا واضحا في شعره بأن هناك آخر يأخذ منه حبه، فالظل يعبر عن الشخصية الافتراضية المتخيلة،^(٣٣) ويتمثل هنا بهاجس الآخر الذي اصبح ظلا بداخله يتبعه ليؤثر عليه بشتى الصور.

اذن لا يشترط لتكوّن الظل ان يكون بذات اللفظة، وإنما بما يفعله ويتركه من أثر، فيكون خفيا عصيا عن الامساك به، لأن الظل فكرة تحوم في الداخل وعبارة عن اشيء ومخاوف تسيطر على الذات، وآخر يراه ظلا له وندا، كما هو الحال في حب زينل، وقد يأتي الظل تعبيرا عن الحب الأول الذي اصبح غير مجد وظلا أمام الحب الجديد الذي أخذ حيزا واسعا في حياة الذات .

يقدم الشاعر أحمد جارالله في احدى قصائده معالجة جمالية للظل ينقل الظل من الهامش الى الظهور والعلن، وبذلك يجعل للمهمش نصيبا في الظهور، وهو أول المدافعين عن قضية المهمشين ومشاعرهم وافكارهم، فيفصح الجزء المخفي في دواخلنا من افكار ومشاعر بصورة الظل، إذ يظهر المخفي بتصرفاته. فيقول:

"تحت شرفتها

التي اوصدت نافذة القلب

كان يواصل الانتظار

بروح ويجيء على الحائط

المتصدع

ظل الرجل الملقى جسده

ميتا فوق الأرض".^(٣٤)

إن ممارسة عملية الانتظار لشيء لا يمكن أن تتحقق ويعد ذلك انتحارا واغراق الذات بالسلبية لكن الذات هنا تصر على انتظار الحبيبة التي ما انفكت على غلق نافذة القلب بوجهه، فلا سبيل للدخول وإن كان محض حلم، فيبادل الشاعر الفاظه بين الشرفة والنافذة التي تعد منافذ للآخر بالدخول إلى جو الحبيبة وبين نافذة القلب والنافذة الحقيقية المفتوحة تمارس نافذة القلب فعل الغلق، فما بين الانفتاح والانغلاق عزاء يطول شرحه للذات الموجوعة بفقد الاتصال والتواصل فتغدو ظلا لا روح فيها، فيبقى في انتظارها بروحه لكن جسده يفقد بهجته فيموت، وهكذا يتساوى الظل مع الروح بقوله: (ظل الرجل الملقى جسده ميتا فوق الأرض).

يظهر (الظل) في شعر (محمد جلال الصائغ) متلبسا بالحب ولا يغيب عن هذا المعنى. من ذلك قوله:

"هذا الهوى هو نخلّة بظلالها أيام عمري بالجمال تطوّق"^(٣٥)

^(٣٣) ينظر: الظل، القافلة www.saudiaamco.com.

^(٣٤) إلى برقيات وصلت متأخرة، أحمد جارالله ياسين : ٧٦

^(٣٥) مُتَّسِعٌ لِحُبِّ آخِرٍ: ١٩

يفسر الحب بانه نخلة بظلالها وما هذا الا ليكسبه طابع الجمال والراحة فهو غذاء الروح.

"أيا ست كل النساء اللواتي زرعن بأعماقٍ روحيّ ظلًا"^(٣٦)

نجحت هي في اختراقه عندما زرعت بداخله ظلها أو ظل الأشياء الجميلة منها، وبذلك اسست لظلها الذي يتولى عملية السيطرة والمرافقة الدائمة له دون منازع .

"غيبني قليلا ...

ثم عودي...

بي استظلي" ^(٣٧)

هنا تشكل ذاته الظل المستظل به بعكس المعنى الاول الذي شكلته هي .

(أيا ست النساء...)

(لا ظل من ضجر يعرش بي

فحبك لا يمل

من ألف ذاكرة"⁽³⁸⁾

يرتبط الظل بالمعنى السلبي (الضجر)، وإن كان كذلك لكن الشاعر ينفي صفة وجوده، لأن حبها موجود ولا يمل منه، فيرتبط (الظل) بالشيء الخارجي (النبات) من (غابات، نخلة)، كما يرتبط بالداخلي الروح وعند ارتباطه بالروح يكسبه الامتداد بالأصل والاساس، ويضفي عليه طابع البقاء والثبات وعدم التغيير خاصة وأن المعنى اقترن بالزرع في الروح، وهذا يفسر دلالة اقتران الظل بالزراعة في الروح، وهو يتعالى بداخلها ليغدق صفة ايجابية وارتياح الذات له.

٤- انعكاس الظل

يكون انعكاس الظل عن طريق المرايا فيتكون الظل نتيجة ذلك، والعالم باراسيلبوس هو اول من توصل الى تفسير نفسي لظاهرة المرايا، إذ كان يعتقد أن المرايا هي عبارة عن نفق بين عالمين: العالم المادي والعالم الخفي وحظيت المرايا بقوة كاريزمية وسعى الانسان في الماضي الى النظر من خلالها الى المستقبل^(٣٩)، وبهذا تعكس المرايا الجانب المظلم والخفي الظل غير المرئي للإنسان كما تعكس الجزء المادي المرئي منه، كما يفعل الظل كذلك. ف"الظل دلالاته رمزية ايحائية ومضامينه الإنسانية والشعورية والفكرية لا تنتهي"^(٤٠) فتتضح علاقة المرايا به من خلال ذلك.

يقول الشاعر أحمد جاراالله في جزء من قصيدة (ظل):

" من هذا الشخص المجهول

³⁶ (المصدر نفسه :٢١

³⁷ (المصدر نفسه :٩٧

³⁸ (كتابات وردية في زمن رمادي: ٤٦

³⁹ (ينظر: المرايا وجوه متغيرة وحكايا الناس والحياة، وليد سليمان . alrai.com

⁴⁰ (أزمة الانسان في قصيدة الظل والصليب ، ابراهيم مشاركة ٢٠٢٠/٢/٢٠ (middle-east-online.com)

أحياناً في المرآة
تفاجئني رؤياه
يتجمع إذ أتشظى
من هذا الشخص المسرور
في صمتي يعزفُ دفُ خطاه
أنزف شعراً
إذ يرقصُ مبهتجاً ومعافى
رئاه..
من هذا الشخص يناصرني
البسماتِ وكوبِ الماء
وإذا ما زارتنني أحزاني
غادرنني من غير استحياء
في أولِ (طيّاره)
نحو بلادٍ مجهوله،^(٤١)

الظل في شعر احمد جاراالله يتخذ بعدا آخر، إذ يتكور تعبيراً عن الذات برؤيا اخرى مختلفا عنها هي حياته الثانية التي تولد من رحم التجديد، ومن صفاته مقابل الذات نجدها في أفعال يفعلها الظل الشخصية الأخرى :

يتجمع ← إذ اتشظى
يعزف ← في صمتي
يرقص ← انزف شعرا
=
يناصرني البسمات
وكوب الماء
غادرنني من غير استحياء

يبدأ الشاعر نصه بالتساؤل عن الشخص/الظل، إذ يراه مباشرة لكن ليس بصورته الحقيقية وإنما بشكل انعكاس في المرآة، وما هذه الصورة إلا انعكاس للذات لكن برؤية أخرى مختلفة كلياً عن ذاته، وكأنما هي ذات مغايرة عن الذات الحقيقية. ((الظل صورة الانسان وسره^(٤٢)))، فإن الزمن الذي يرهق الذات بتفاصيله وحمله لأمر لم تكذ تحملها هو الذي شكل هذه الصورة وجعل الذات في صراع داخلي ربما مع وجوه أخرى تترآ لها في المرآة .

⁴¹ () إلى برقيات وصلت متأخرة : ١٤ - ١٥

⁴² () تاريخ الظل، يوسف ابو لوز . Alkhaleej.ae

إن ما يمتلكه هذا الظل من امور كثيرة يسلم دفة التوجيه بيده خاصة وأنه يمتلك دائرة الفعل المضارع، فهو زمن يستمر بروح الذات ليسلبها عافيتها أو سكونها، هو زمن يتقاسم مع الذات أمورها كلها، وله الدور الكبير في مخالفة الذات وتحولاتها الجذرية. فالظل هنا يبدو في المرأة وهذه المرأة تعكس صورة الذات التي تتغير فيها، وتحاول اظهار صورة أخرى غير المعتادة عليها، فهو غير كامل الظهور يظهر في أوقات، أي ظهوره ليس مستمرا، وينسج الشاعر هنا سلطة الظل وقوته في الظهور، إذ يطغى على الذات ويسلمها إلى دائرة التساؤل والحيرة .

يرى بعضهم ان المرايا تحتوي على ذاكرة في جزء منها تشع طاقة ايجابية والآخر يشع طاقة سلبية، فجاءت المرأة لكي تعكس نفسية الأديب، واصبحت تقنية فنية في توظيف التراث واستخدمت للبحث عن الذات وهويتها المفقودة، لتعكس صورة الأنا في ذاتها لتري الآخر المنشق عن الأنا ليصبح صوتا داخليا مصاحبا للشاعر.^(٤٣) كما يحدث مع ظل الشاعر أحمد جارالله، وإن صح ما قيل من ان: "الشعراء يحملون ذكرياتهم فيودعونها المرايا لكن ذاكرة المرايا سراب"^(٤٤). وهذا ما لمسناه إذ المرأة تحمل ذاكرة عن شخصية أخرى تظهر في المرأة وهي تحمل دلالة الماضي وصوره، وتتلاعب بحاضر الذات فتعرقل خط سيرها الزمني .

للظل هنا صورتان الأولى ظهوره المتقطع غير المستمر في المرأة والصورة الأخرى ظهوره بشكل مباشر الذي يمثل كسره لحاجزه المتمثل بالمرأة وتواصله مباشرة مع الذات عبر افعاله التي يقوم بها، فهو هنا يمتلك الحرية وعدم التقييد وقد لا تحده حدود المرأة، وإنما تعكس حركته وامتداده، ليدرك الشاعر حقيقة أن ظلنا الآخر قد يداهنا بالظهور فجأة، ويكسر الحاجز المسيح بيننا المتمثل بالمرأة، وعند ذاك يصعب السيطرة عليه، فيتحرك في حياتنا معلنا نفاذه واختراقه فيها، ويمثل صورة الذات الأخرى.

يقول الشاعر (كرم الاعرجي) في قصيدة (عثور) :

" ما دمت
انسى ظلي يوميا
في المرأة
أو
على كرسي قراءاتي
سأبحث
عن ظل جديد أتوسده
ولأني
لم أعتز على شكل .. ما
قررت
اعتيال الأضواء
حتى

⁴³ () ينظر: تقنية المرأة في شعر محمد حسيب القاضي، لطيفة حسيب القاضي <http://www.amad.ps>

٢٠١٨/٤/١٨

⁴⁴ () في مرآة الحرف للشاعر أديب كمال الدين ابتكار لغة الضوء والمرايا، ناظم ناصر القرشي.

<http://www.qabaqaqosay.com> ٢٠١٦/٧/١٠

لا أكرر.!"^(٤٥)

يشرح الشاعر عملية تكون الظل في المرأة، فهو حبيس لها ويتكون بها، وتمارس الذات فاعلية النسيان اليومي له في المرأة، وكأنها تترك شخصيتها في البيت لتخرج بأخرى الى العالم الخارجي، وبهذا يعبر عن وجه الذات وشخصية تكونها لتستمر العملية بالبحث عن ظل آخر يتصف بالجديد كي تمنع الذات في تغييره، وإن كانت الذات تسعى إلى تغيير ظلها باستمرار، فهي تغير من وجوها وشخصيتها لكنها تصدم بعدم ايجاد الظل فتتجه إلى اقتناص الاضواء وإطفاء جذوتها حتى لا يتكرر ظلها وشخصيتها لتمارس فعل السلطة المنقردة .

إن الذات متحكمة مسيطرة على الظل ما دام الظل لا يتحرك ويقع في دائرة النسيان في المرأة موطن الالتقاء وعلى الكرسي موطن الجلوس، لذلك تبحث الذات عن ظل جديد يمثل وجها آخر تتقنع به، وعندما لا تعثر عليه تطفئ الاضواء، لأن الذات لا تتكرر وإن كان ذلك على سبيل الظل لا الحقيقة .

يظهر الظل بشكل فكرة تلح في التجلي أمام مرآة الحقيقة، ففي قصيدة (وجع .. في ثياب) يقول الشاعر

(مروان ياسين الدليمي) :

" وجه لا يشبهني أمام المرأة

أفك حجابها

قناعا قناعا

بمنأى، عن كومة نظرات زاعقه

لا أخاف التثقل بين انتظارات

تترصد ظلي وتلتهم النوافذ حتى يكبو التوهج في طفيرة الشتاء

المعلق في ساحة الفردوس."^(٤٦)

إن ترصد الظل هي مرحلة مراقبة الآخر بظله رمزاً للمخاتلة والرصد السلبي الذي يرقب الذات في محاولة النيل منها، والظل هنا يشكل ملامح الذات الأولى وبداية ظهورها ودال عليها، فيشاهد بالبصر ومرتبطة به في محاولة اقتناص حركات الذات لتتعمق دلالاته عندما يكون رمزاً عاماً للجيل الذي يطالب بتحقيق غايته في العيش بسلام وامان، وجاءت ساحة الفردوس لتؤكد ذلك فهي رمز لتغيير أنظمة ومجي أخرى، فيها نصب الجندي المجهول في عهد عبدالكريم قاسم لكنه هدم واستبدل بتمثال الرئيس الراحل، فالساحة رمز للانتقال من زمن لآخر ومن عهد لآخر، فالظل فكرة تتمركز في الذوات وتشعل الغد بالنور، فيتحول الأمر من ملاحقة الظل وحركته من المشاهدة بصريا الى ملاحقة الفكرة الملاحظة بالبصيرة، فالإنسان صاحب فكر وموقف، وهذا ما يعبر عنه الشاعر تعبيرا رمزيا بالظل.

٥- الظل والسيطرة

يوحي الظل بالسيطرة المسبقة في اغلب المرات، ولولا هذا لما شاهدنا النماذج الشعرية السابقة من ظهور الظل بتعدد متنوع ومختلف من فكرة وزمن ماض يحوم حول الذات وزمنها الحاضر، أو بأخر يلاحق الذات ويفلق حياتها بهاجس يتبعها داخليا تتصوره نفسيا، أو بمرآة تشكل هاجسا مخيفا يحتم على الذات اعادة حساباتها،

⁴⁵) هكذا أنقب : ٤٧

⁴⁶) سماء الخوف السابعة، مروان ياسين الدليمي : ٦٠

وكل ما ذكر من وسائل لظهور الظل وانتشاره، فتعطي دلالة سيطرته ونفوذه وتغلغله في العمق حتى ظهر بهذه الصور المختلفة ولتعزيز ذلك نذكر أمثلة من الشعر الموصلي.

يتكون الظل في شعر كرم الأعرجي بشكليين الأول سيطرته على الذات واختراقها، والثاني سيطرة الذات عليه وبين هذا وذاك تظهر دلالات الظل وتتعدد، ففي قصيدة (جبت دون أشباهي في غبار) التي قسمها على مقاطع بأرقام يقول كرم الاعرجي:

مجنون ((٢))

"شبح يقوده ظله

وبلا ضوء

يمر بذاكرتي

صدفة

مر على قلبي .. فاحتواني .."

يعبر الظل عن الشخصية المهيمنة المسيطرة على الحدث، والظل هنا اصبح سيد الموقف، إذ يقوم بعملية القيادة ومن ثم الاحتواء ولكي يتكون الظل لابد من ان يفتقر بالضوء لكنه هنا يفقد هذه الخصوصية كونه يتشكل بلا ضوء ويتميز هذا الظل بسرعة اختراقه، إذ يمر في الذاكرة إلى القلب يمارس فاعلية الاحتواء، فهو فكرة الماضي التي تظهر بين حين وآخر وتسيطر على الذات.

وفي جزء من قصيدة (مملكتان) يقول كرم الأعرجي :

"أكم

في الجوف بسأيني

أفتحها

للنار عيوني

ألقي

ظلي في بئر النوم

.. يتعد ظلي

فيذروني

ألممني

أتوكأ منسأة من ضوء

يغرزها المطلق

في قلبي " (٤٧)

عند اجتماع الماء والسبات، الحياة والحلم ينتج تعدد الظل، وهو تعدد أحلام وأفكار، وتشظي الذات التي تسطر إلى كم ما تتأثر منها من أفكار ورؤى ومشاعر باذخة، فيتعدد الظل ويوحى بالانتشار والتمدد والتوسع وبهذا يفرض سيطرته في عملية تكوينه.

يقول الشاعر (امجد محمد سعيد) من قصيدة قهوة ادونيس :

"الوقتُ ماءٌ

والشَّمْسُ برتقالةٌ

مخبوءةٌ في ظلِّه

عيونهُ غيمٌ

وأفقُهُ رداءٌ" (٤٨)

ان في المقطع ترميزا دلالة على اتساع انجاز الشاعر وعلو كعبه وانتشار انجازه الذي اصبح فيه ظله اسطع من الشمس، وبهذا اقترن الظل بالانتشار والظهور وبسط نفوذه عندما يكون مرثيا ظاهرا للعيان.

في قصيدة كلام سري يقول الشاعر مروان ياسين الدليمي :

"يقظ .. حرارة ذلك

في الدم الازرق :

رصاصة

هلعا

علامة استفهام .. وتعجب

لوح بسمائك الحمراء" (٤٩)

نجد ان الظل كأنه ذات أخرى تسكب الدفء والحرارة في الروح، فهل للظل حرارة وكيف تتكون؟ إن الظل هنا رمز للحياة، وعندما يُفعل عملية الايقاظ للظل هو يستدعي الحياة، ليقابل العالم الداخلي للذات الذي ينتابه مكونات (رصاصة، هلعا، علامة استفهام، تعجب) مع ملاحظة تبادل اللون، فأخذ الدم اللون الازرق بدلا من السماء واقرنت هي بالأحمر، ففيه تبادل للأدوار التي تترجمها الذات بحرارة الظل ودفئه.

٦- الظل بمعناه الصوفي

إن الظل عند التوحيدي واسطة بين الحياة والموت وعند ابن عربي "الظل ليس كينونة مظلمة انها دلالة الوجود ولحظته المنبعثة من الاحتجاب والعماء لذلك الظل وجود انبعاثي وهو لحظة امتلاء ولكنها مشدودة دائما إلى الشيء المنفصلة عنه، فكأنما الظل الشيء المنفصل يحمل حنينه وشهوته للعودة إلى ما انفصل عنه، وهذا ما يفسر سلسلة الانفصالات/ الظلالات وانواع وجودها عند ابن عربي وتراتها بين عالم الغيب وعالم الشهادة" (٥٠). ويرتبط مفهوم الظل بمفهوم الانفصال ف "هو لحظة انفصالية عن الشيء الذي كان هو يملؤه، إن لحظة الانفصال هذه لحظة ايجاد وحدوث لحظة وجودية مرتبطة بالظهور والانكشاف تجعل الشيء الظل المنفصل

(٤٨) قهوة ادونيس ، امجد محمد سعيد : ٢

(٤٩) سماء الخوف السابعة، مروان ياسين الدليمي : ٢٠

(٥٠) الظل اساطيره وامتداداته المعرفية والابداعية، د. فاطمة عبدالله، www.albayan.ae

مرثيا مشهودا، وهذا ما يجعل مفهومي العمر والانفصال اساسيين ومشتبكين في كونهما عنصرين اساسيين في تحديد ماهية الظل".^(٥١)

تُبنى قصيدة (وتبقى تفر الظلال) للشاعرة بشرى البستاني على الثنائية الضدية والصراع المحتدم بينهما من (الجسد والروح، العالم الارضي والسماوي، المادي والروحي)، وهذا التضاد يولد الحركة في النص ويشعل جذوتها، وعن طريق التجسيد تنتقل الذات بين عالم الذات العادي والصوفي، وترينا ماذا يحدث بتجردنا من عالمنا المادي إلى عالم آخر أكثر سما وراحة بغياب الحدود فيه للزمان والمكان.

تعطي القصيدة إشارة صوفية من أول وهلتها بعنوانها الذي يباشر هذه الدلالة (الظلال)، وللظل معاني لدى المتصوفة ومنها: كل ما سوى الله تعالى، ما يحصل من انبساط النور الالهي على أعيان من الأعيان الممكنات التي ليست نورا في نفسها.^(٥٢)

ومن دلائل الصوفية في القصيدة وجود مفردات تدل عليها فضلا عن المعنى العام، ومن هذه المعاني: (النار، الدوار، النغم، خمور، أطير، رقصة النار، تغيب المسافات)، وهي من احتياجات الصوفي لإقامة شعائره، وتمنح بعدا رمزيا للقصيدة بتبنيها هذه الفكرة. تقول الشاعرة في جزء منها:

"خلسة يتربص بي ...

.. خلسة ..

من أنامل كفي تشتعل النار

حتى العروق

الدوار القديم

يغير لون المدى

ويهفو اليمام على شرف القلب

يخضر غصن الكلام

على نغم من بنفسج"^(٥٣)

تبدأ القصيدة بحركتها الأولى التي تقابل حركة الصوفي ب(تشتعل النار)، والنار رمز المحبة للالتقاء، وهي نار القطيعة والانفصال كي ينفصل الصوفي عن كل ما حوله لحظة الالتقاء بالعالم الآخر الروحاني، وكأنها بهذا تعطي الشرارة الأولى لإثارة الحدث بالانطلاق ووسيلة لتغذية الحركة في النص، فمن اشتعال النار من الانامل حتى العروق يبدأ اضرام الحركة في الجسد دلالة على استجابة بدء الطفوس ثم تتوالى اثاره محركات النص من (الدوار) الذي يمثل حركة الصوفي بدواره حول ذاته، لتبدأ السكينة تدب في القلب وهي الحركة المرجوة من هذه العملية كلها(ويهفو اليمام على شرف القلب)، وهي أول علامات التغيير، لأن اليمام رمز للإنذار بالتغيير واحداث السلام والقلب عند الصوفية من مقامات الباطن. يقول ابن سينا لا بد أن تحن وتضطرب وتخلع عنها سلطان البدن وتتسلخ عن الدنيا لتتصعد إلى العالم الأعلى وتحرر الإنسان من شهوات البدن ليس عنده إلا سعيا للنفس

⁵¹ المصدر نفسه

⁵² ينظر: الظل في الاصطلاح الصوفي ١/مايو/٢٠١٩، Eltswof.blogspot.com

⁵³ اندلسيات لجروح العراق، بشرى البستاني: ٢١٥_٢١٨

إلى الفكك من إسارها وما يمارس على الجسد من مجاهدات تفضي إلى رقة القلب كما يفعل المتصوفة يهتز
وجدًا عند سماعه آية من القرآن. (٥٤)

وتكمل الشاعرة قولها :

"فتقر الظلال

و ملأى السلال

من غلال سماوية

من خمور تداف

وأجنحة إذ ترف بوجدان روي"

نجد علامة اخرى للتغيير تتم في الكلام (يخضر غصن الكلام) تعبيراً عن عذوبته ورونقه، ويحدث هذا
كله بتصعيد النغم الشفيف الذي يقابل النغم الصوفي في طقوسه، ويرتفع من مكانه إلى المكان السماوي الروحي
برموز تدعم هذا الجو وتدلل على هذا الجزء المكاني ومنها: (أجنحة، أطيير على نجمة، جنان، أروقة من ضياء،
من غلال سماوية، تغيب المسافات). وبغيب المسافات وتلاشي حدود الزمان بين امس واليوم والغد تعطي النص
بعدا آخر في التحرر من قيود المكان والزمان لينتج روحاً تدرك ماهيتها متحررة من ظلال القيود.

⁵⁴ () ينظر: الرحلة الصوفية وثنائية الجسد والروح، ١٣/نوفمبر/٢٠١٣، ويكيبيديا. Ar. M.wikipedia.org

الخاتمة

١. من خلال ما طرحناه كله نرى بأن الظل يحمل دلالة مزدوجة في كل شيء من أنه يظهر الشيء ويخفيه فيدل على الهامشي والاساسي، الخفي والظاهر الحركة والثبات، فيمارس الظل لعبة الخفاء والظهور ويمزج بين الحركة والسكون، فيقيم فلسفته الخاصة به على وفق نظام الحياة.
٢. إن الظل بمعناه الايجابي والسلبى يحوم حول الذات بطرق تشكله المختلفة بفكرة أو بأخر أو شخصية أو زمن ماض يخلق في سماء استعادته بالحاضر بحلوه ومره يسيطر على تفكير الذات ويشل حركتها ووسائل الذات تبدو بالانفتاح نحوه وفتح اشعرتها له أو بمقاومته ومنعه من التسلل إلى دواخلها من توهج اقتداح الشرارة الأولى وتلويحها بالظهور.
٣. إن عدم وضوح المعالم للظل من لا لون له ولا تحديد يعطيه الأولوية بالمخاتلة والاختباء بدواخل الذات في محاولة الظهور ما سمحت له الفرصة بذلك، فهو يسكن داخلها قبل أي شيء، وحرى بنا أن نشخص ونواجه ظل ذواتنا قبل أي شيء آخر.
٤. تتنوع دلالات الظل في الشعر الموصلى وتتخذ اشكالا عدة ومنها المحاور التي اعتمدها في بحثنا انعكاس الظل، والظل والحب، والظل وسيطرته، وانفصال الظل، وعلاقته بالزمان والمكان.
٥. رمزية الظل في الشعر الموصلى في اغلب الاحيان تتمركز نحو الآخر الذي يمثل سيطرته على الذات وانفلاته من قبضة تحكمها.

المصادر والمراجع :

الكتب والدواوين الشعرية:

- _ اجدية الحب، زينل الصوفي، دار ماشكي، العراق، موصل، ط١، ٢٠٢١
- _ إلى برقيات وصلت متأخرة، أحمد جارالله ياسين، مديرية النشاط المدرسي، نينوى ، ط١، ٢٠١٠ .
- _ اندلسيات لجروح العراق، بشرى البستاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٠.
- _ حدس اللحظة، جاستون باشلار، تعريب رضا عزوز ، وعبد العزيز زمزم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦.
- _ رفات القطيعة، مروان ياسين الدليمي، دار الجامعة، موصل، ط١، ١٩٩٩.
- _ سماء الخوف السابعة، مروان ياسين الدليمي، دار الينابيع، سورية ، ط١، ٢٠١٠.
- _ فاعلية الذاكرة في تليباتي بين أسطرة الواقع وسحر الخيال، اعداد وتقديم د. أيمن العبيدي، دار غيداء، عمان، ط١، ٢٠١٨
- _ فصول المكائد، بهنام عطاش، سلسلة نون ١٣ منشورات اتحاد الادباء والكتاب، نينوى، ١٩٩٦
- _ قهوة أدونيس، قصيدة طويلة، أمجد محمد سعيد، قراءة النقد والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧ .
- _ كان شيئاً من الماء، زينل الصوفي، منشورات اتحاد الأدباء، بغداد، ط١، ٢٠٢١
- _ كتابات وردية في زمن رمادي، محمد جلال الصائغ، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط١، ١٩٩٩.
- _ لسان العرب، ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت.
- _ مُتَسَّعٌ لِحُبِّ آخِرٍ، محمد جلال الصائغ، دار نون، بغداد، ط١، ٢٠١٨
- _ مرايا العزلة، أمجد محمد سعيد ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٣
- _ هكذا أنقُبُ، كرم الأعرجي، مكتب الصفاء ، ط١، ٢٠٠٠
- البحوث المنشورة على شبكة الانترنت :
- _ أزمة الانسان في قصيدة الظل والصليب، ابراهيم مشاركة ٢٠٢٠/٢/٢٠ Middle_east.com
- _ تاريخ الظل، يوسف ابو لوز ٢٠١٨/١/٢٢ Alkhaleej.ae
- _ تقنية المرأة في شعر محمد حسيب القاضي، لطيفة حسيب القاضي، ٢٠١٨/٤/١٨ www.amad.ps.
- _ الرحلة الصوفية وثنائية الجسد والروح ١٣/نوفمبر/٢٠١٣، ويكيبيديا Ar.M.wikipedia.org
- _ الشاعر العربي استعارة الظل واوهام البطولة ١، علي حسن الفواز ١٥/يوليو/٢٠٢٠ www.alquds.co.uk
- _ الشاعر وظله، أحمد العمرابي، mahmouddarwish.ps .

- _ شفاء الانقسام بين الذات الواعية والنفس الظل، دنيس لين ar.innernesself.com.
- _ الظل، القافلة، أرامكو السعودية، ٢٠١٨، WWW.saudiaamco.com.
- _ الظل اساطيره وامتداداته المعرفية والابداعية، د. فاطمة عبدالله، www.albayan.ae
- _ الظل في الأدب والفن والعلم ٦/٥ /٢٠١٣، Ara.alrakoba.net.
- _ الظل في الاصطلاح الصوفي ١/مايو/٢٠١٩، eltswof.blogspot.com.
- _ عينان، قصيدة الظل، وليد الصراف، www.atheer.com.
- _ فلسفة الظل، احلام فهمي ٢٠١٥/١٢/١٩، www.aljazirah.com.
- _ فلسفة غياب الظل في الفنون الشرقية /د. كاظم شمهود، www.almothaqaf.com.
- _ في مرآة الحرف للشاعر أديب كمال الدين ابتكار لغة الضوء والمرايا، ناظم ناصر القرشي، ٢٠١٦/٧/١٠، <http://www.qabaqaqaosay.com>.
- _ ماهي القوة الخفية للجزء المظلم من أنفسنا، ٢٠١٩، www.for9a.com.
- _ المرايا وجوه متغيرة وحكايا الناس والحياة، وليد سليمان، ٢٠١٧ /٧/٨، www.alrai.com.
- _ معجم المعاني الجامع، www.almaany.com.